والنار فى خياله ؟ على ان فكرة الجنة والنار والنعيم والجحيم تدور برؤوس الناس منبلج الصباح وأفول الشمس فى كل يوم . فهى حق شائع لجميعهم لا يعده الأدباء أخذا . ولو أنهم عدوه لكان كل شعرائنا وأدبائنا سراقا . ولكان امرؤ القيس سارقا لانه بكى الديار كما بكاها ابن حذام من قبله ، اذ يقول امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن حذام

وانما الذى يعده الأدباء سرقة هو أخذ الفكرة النادرة التى ينفرد واحد بها . أو الترتيب الذى لا يستطيعه الا الشواذ والأفذاذ فهل سرق دانتى الترتيب من رسالة الغفران ؟ اللهم لا

فحراس الجحيم فى خيال المعرى ملائكة ، وفى خيال دانتى شياطين ، وأشخاص الرواية عند المعرى شعراء ورواة . وعند دانتى رجال دين وعصاة ومذنبين ، والجنة عند دانتى تسعة أقسام لكل قسم طائفة عملوا الخيرات كل على حسب عمله . وعند المعرى ثلاثة أقسام « جنة الجن » وجنة (الرجاز) والجنة الاصلية .

وقد بلغ المعرى أسمى خياله لدى وصفه الفردوس . كما كان أخصب النواحى خيالا عند دانتى هو وصف الجحيم

وسنعرض لذلك بالموازنة التامة (ان شاء الله)

على أنه ان كان لابد من أن تتهم الشاعر الطليانى بالاقتباس . فأولى ان نعتقد أخذه من فرجيليو Virgilio الذى كان دليله فى رحلته وهاديه فى ظلمات الجحيم . ولفرجيليو هو الآخر رحلة فى أعماق الجحيم هى أقرب لخيال دانتى من رسالة الغفران

ولقد كانت لدانتى أحلام فيها ملائكة وفيها موتى ، هى إرهاص ومقدمة لرسالته العتيدة

فقد رأى فى حلم من الأحلام أنه ضل فى غابة موحشة فأطلت عليه محبوبته بياتريشى فى سحابة من الملائكة وعليها لهب قرمزى كأنه اللهب المتأجج . وخيل اليه أنه يتغلغل فى عالم الأموات

كما تحدث فى بعض أشعاره قائلا : ها أنذا جالس فى مكانى أذكرها وأذكر أيامها السعيدة فيلوح لى كأن ملائكة من السماء تهبط من عل وتأخذ أماكنها على المقاعد الموجودة حولى

فاذا ضممنا الى ذلك كله أن حبه أهم خيال الجنة ليستمتع بمن أحب ، وان بغضه لمن حاربوه ونفوه وشردوه يوحى اليه ان يتخيلهم فى دركات الجحيم ، وان تلك طبيعة النفس تشرئب لنيل آمالها ولو عن طريق الخيال . عرفنا براءته من السرقة

يتبع محمود احمد النشوى

٤ — بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

عاش أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى أربعين عاما أمضى شطرها نائيا عن بلده وعشيرته فى طلب المجد والغنى ، فبلغ ما أراد . نبه ذكره واتصل بمعظم الأمراء والوزراء فى الشرق : شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وخلف بن أحمد ، وبنى قريغون ، وبنى ميكال والسلطان محمود ، والصاحب بن عباد ، والفضل بن أحمد ، وأبى نصر من وزراء الدولة الغزنوية . وعرف كثيرا من رؤساء نيسابور ، وطوس ، وسرخس ، ونسا ، وبلخ ، وهراة . وصار مطمح أصحاب الحاجات يتوسلون به الى أولى السلطان والجاه ، يتبين ذلك فى كثير من رسائله . وقد قال فى رسالة الى الشيخ أبى النصر فى أمر بعض الفقهاء : « وهؤلاء الصدور ، يرون الشمس من قبل تدور . » (١) يعنى أن الناس يرونه قادرا على تيسير حاجاتهم . وكان له عناية بالأمور العامة يبذل فيها من عقله وجاهه . كتب الى الوزير الفضل ابن أحمد مع وفد من هراة ذهبوا اليه يلتمسون تخفيف الخراج عن أهل مدينتهم ، وكتب الى رئيس هراة فى أموال رأى جبايتها اجحافا ؛ وكتب الى وزير السلطان محمود فى قتل رجل اسمه أبو عثمان : « والله لئن سكن السلطان العظيم وتغافل ، وتسامح الشيخ الجليل وتساهل ، ان الله بالانتصاف لملى ، وان الله على الانتقام لقوى ، والمحنة ادام الله عز الشيخ الجليل فى ذهاب ذلك العالم المسلم ، دون المحنة فى بقاء هذا الظالم المظلم ، ولئن ساغ لهذا الفاسق ما فعل ليرخص نجم المسلم ، وليراق دم العالم ، وليصيرن كل سكين منشور ولاية ، ثم ليتسعن الخرق على الراقع ، وليس دم المسلم بيسير عند ربه ، ولزوال الدنيا على الله أهون من صبه ، أليس الله تعالى يقول : من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا ؛ وانا أعيذ بالله هذه الدولة من أن ترصم بتعطيل الحدود ، او توسم باعدار الدماء ، وعسى الله ان يوفق الشيخ الجليل لتدارك هذا الأمر ، ان ذلك على الله يسير

ويقول فى الرسالة نفسها : « ورد على خادم الشيخ الجليل

(١) الرسائل ص ١٠٩

كتاب من أقصى خراسان والعراق بحديث تسيار فلان وصاحبه فلان وذكروا معرفتهما باحوال الثغور ، وممارستهما لما يعرض بها من الخطوب ، وان اعين المرابطين والغزاة طامحة الى نصره ، من السلطان العظيم أعز الله نصره وقد بعثوا بهما وفدا وقدرا انهما يحدانى بالحضرة فاكون لهما لسانا ، وتنجزا الى كتابا ليعلمانى ، ولو امكننى النهوض لاحتسبته لهما واذا لم ينهض قدمى ، فقد استناب قلمى ، والشيخ الجليل يرى عالى رأيه فى تقريبهما لنصرة الله والاصفاء المثوبة ان شاء الله تعالى (١)

وفى هذا ما يبين عن مكانته بين الناس واهتمامه هو بأمورهم . ونجده أحيانا يكتب للاصلاح بين فريقين متحاربين (٢) . وقد مكنته هذه الهمة العظيمة من دفع المفسدين عن نيسابور ، وكان اذ ذاك فى مستهل صيته ومبدأ نباهته ، يقول فى رسالته الى ابيه بعد ان وصف ما كان بخراسان من هرج ومرج : لا ولا شىء الا السلاح والصياح ، وكل شىء الا السكون والصلاح ، وأنا اذ ذاك حاضر نيسابور وداري بين القبة الرافضة وكل يوم تهديد ، ورعب جديد ، فقلت :

ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا
به الخطب الا وهو للقصد مبصر

فلقيت صدور نيسابور وقلت حسام هذا البلاء والعلاج قريب الأخذ ، وهلا نفر من طائفة الغزاة : الى هؤلاء الغواة ، وآزرهم اهل الصلاح وانا اول من دعا الى هذا الامر وأجاب اليه وبذل فيه وانفق عليه ، فقعلوا وما كان سواد ليلة حتى علت كلمة الحق وباد أهل الفساد ، إن جرح الجور ، قريب الغور ، وان نار الخلفاء سريعة الانطفاء ، وان كيد الشيطان ضعيف ، ثم اسمع الآن بهمذان من خراب واضطراب ، وباموالها من ذهاب وانتهاب ، وبأسواقها من فساد وكساد ، وباسعارها من غلاء ، وباهلها من جلاء ، افليس فيهم رجل رشيد يجمع كلمة اهل الصلاح ؟ عجبا من تعاون المفسدين على خذما ليس لهم ، وتخاذل المسلمين عن منع مالهم (٣)

بديع الزمان الهمذانى

أظهر أخلاق ابى الفضل بديع الزمان ، الانفة والعظمة ، ومن أجل ذلك يكثر فى رسائله عتاب الامراء والرؤساء على التفريط فى جنبه أو انزاله دون منزلته . كتب الى أبى جعفر بن ميكال حين آنس منه التقصير فى الحفاوة به : « وأعرفه إنى ما أطوى مسافة مزار إلا متجشما ، ولا أطأ عتبة دار إلا متبرما ، ولست كمن يبسط يده مستجديا ، أو يثقل قدمه مستغديا فان كان الامير الرئيس أطال الله بقاءه يسرح طرفه فى طامح أو طامع ، فليعد للفراسة نظرا

فالفقر من أرض العشيرة ساقنا اليك ولكننا بقربالك نجح (٤)

وكتب إلى الأمير خلف بن احمد وهو الذى اصطفاه بأحسن مدائحه : « كتابى أطال الله بقاءك وقد كنت نذرت ألا أخاطب حضرته ثم روى لى القاضى حديثا طرق الى نقض ما نذرت طريقا وسمعت منشدا ينشد :

لحى الله صعلوكا مناه وهمه من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما

فقلت أنا معنى هذا البيت ، لأنى قاعد فى البيت ، آكل طيب الطعام وألبس لين الثياب ، ويفاض على نزل ، ولا يفوض إلى شغل ، ويملأ لى وطب ، ولا يدفع بى خطب . وهذا والله عيش العجائز والزمنى العاجز . . . . ولعل جرما تصور ، أو رأيا تغير ، أو اعتقادا أخلف ، أو ظنا اختلف . فأن لم يكن شىء مما سردت وأوردت فالغلط فى صدر القصة كان ، وفى عجزها بان . وان كان كذا فبالله ما أرضى ، ولو صارت السماء أرضا ، ولا أريد ، ولو انقطع الوريد . وانى لأستحى من الله أن أرى لى المثل الأدنى ، وفى القوس منزع أما ، وإن لم أكن بالعراق أمير البصرة ، وبيخارى زعيم الحضرة ، فما أزعجنى عن همذان فقر الى جوع وعرى ، ولا ساقنى الى سجستان طمع فى شبع وري ، وانما نحوم حول المراد ، ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال

لا يكثر الأمير على من خلعه وصلاته . فوالله لو علمت أن قصارى أمدى سجستان أليها ، وضياعها أقتنيها ، وغلاتها أشتريها ، وأموالها اتسع فيها ، ولا مطمع فى زيادة بعد لآثرت الزهد على الطلب . » (٥)

وكتب الى عامل البريد : ولكنك طفقت لانتهاب سلطان العلم ، فأعلمناك أن سلطان العلم لا يهابك . ولو اتصلت بالسماء أسبابك » (٦)

وكتب الى الوزير ابى نصر بن بريدة وقد قدم رجلا عليه : قدم اليوم على فلانا ولست أنكر منه وفضله ، ولا أجحد بيته وأصله ، ولكن لم تجر العادة بتقدمه لانى الأيام الخالية ، ولا فى هذه الأيام

(١) الرسائل ص ١٢٩ (٢) ص ١٥٧ (٣) ص ١٢٤

(١) رسائل ص ٤٧ (٢) ص ١١٦ (٣) ص ٢٢٣

العاتبة . وشديد على الانسان مالم يعود ، الى ان يقول : « أنا لا ألبس الشيخ التجليل على هذه الخصلة ، ولا أحتمله على هذه الفعلة .

فأما أن تكون أخي بحق فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني عدواً أتقيك وتتقيني

لا أعدم كريما ، ولا يعدمني كريما . ولي مع هذا الماء حالان لا واسطة بينهما ، إن صفوا أشربه : أو كدرا فلا أقربه ، والسلام

وكان البديع ذا همة عالية ، ومروءة عظيمة ، يعطف على الناس ويرثي لهم ، ويصغي لأصحاب الحاجات ، ويشفع فيهم . وقدم بعض ذلك . ومما يدل على نبالة نفسه وسمو همته ما كتبه حين هناه بعض الناس بمرض الخوارزمي ، وما يظهر في رثائه الخوارزمي من حزن صادق

ويؤخذ من رسائله أنه كان جوادا : كتب إليه صديق يؤذنه بقدومه اليه ويسأله أن يستأجر له داراً فأبى الا أن ينزله معه في داره ، وكتب الى صديق له مات أبوه يحذره من أن يقتر على نفسه ويحرم نفسه السعة عياله كما حذره أن ينفقه في اللهو واللعب (١) . ومن رسائله الى الامير أبي الحارث محمد مولى أمير المؤمنين : « وأما الدرهم والدينار فدفعهما ونزعهما من يدي سواه . لا أشكر واهبهما ولا أشكو سالبهما . إن لي في القناعة وقنا وفي الصناعة بختا » (٢) يشهد لهذا ما أرسله الى أبيه من المال وما أرسله الى أقاربه وأصدقائه من الهدايا .

ويشيع الزمان على حسن معاشرته : وحلاوة حديثه ، وما ينزع اليه من الفكاهة في كتابته ، كان في طبعه الانقباض ، والنفرة من الناس والتشاؤم ، يظهر هذا حين يصف الزمان أو يرثي الموتى أو يهجو رجال عصره من القضاة والكتاب ، وأصحاب الأعمال . وحسبك من رسالته التي أجاب بها شيخه ابن فارس حين كتب اليه يذم الزمان : « نعم أطال الله بقاء الشيخ الامام ، أنداد الحاسدون ، وإن ظنت الظنون . وأن الناس ينسبون لآدم . وإن كان العهد قد تقادم ، وارتبكت الأضداد ، واختلط الميلاد ، والشيخ الامام يقول : فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا ؟ ، الى أن يقول : وما فسد الناس ، وإنما أطرد القياس ، ولا أظلمت الأيام ، وإنما امتد الظلام . وهل يفسد الشيء الا عن صلاح ، ويعمى المرء الا عن صباح ؟ »

(١) الرسائل ص ١٤٩ (٢) ص ١٠١ (٣) ص ١٥٥

ويقول في الديوان :

كذاك الناس خداع الى جانب خداع
يعيشون مع الذئب ويبكون مع الراعي

ولعل من هذا المزاج المنقبض كانت شدته في الهجاء ، وافحاشه في الذم أحيانا ، وميله الى العزلة ، ولذلك كان أحسن شعره ونثره ما كتب في الرثاء أو التعزية أو الوعظ .

ويؤخذ من رسائله أنه كان عزوفا عن اللهو ، يعاف الخمر ، ويتجنب المحرمات وفي رسالته التي كتبها لابي الطيب سهل بن محمد يقول عن نفسه والخوارزمي : « ونحن في كل حال ، على طرفي نحال ، هو خوارزمي ولست من خوارزم . وهو شاعر ولعن الله الظلم : وخمري ولا أشرب الخمر ، وناي ولا أسمع الزمر ، وعودي ولا أحسن النقر ، ونردي ولا ألعب القمر .

ويؤخذ من رسائله كذلك أنه كان متألها يلتزم السنن جهده . وقد بلغ من الورع أنه كتب وصية يأمر فيها باتباع السنة في تجهيزه ودفنه ، وينهى عن البكاء عليه ، وهي مثبتة مع رسائله .

ونجد في رسائله مع هذا أنه يجيز الكذب ان كان في الكذب خير يقول . في رسالة الى بعض وزراء الغزنوية . « زعم أدام الله تمكينه اني أخلف المواعيد ، وأرد العذر البعيد . ومتى ادعيت أن قولي يكتب في المصاحف أو يتلى في المحاريب ؟ ومتى تبرأت من الأحاديث . والله اني لأكذب الكذبة أظنها لحسنها صدقا » (١)

وفي رسالة أخرى : « وقد زورت على الشيخ تزويرا آمل أن ينفعه الله به في الدارين ، وغدا أعرفه الحديث » (٢)

يتبع عبد الوهاب عزام

(١) الرسائل ص ١٣٤ (٢) ص ١٧١

شفاء البول السكري

بنباتات مصرية — للسيدات والرجال

يتشرف محلنا المؤسس في سنة ١٨١٢ بالفات نظر الجمهور الى انه يوجد بالمحل دواء مركب من جملة نباتات خاصة لشفاء البول السكري سواء أكان السكر في البول فقط أو في البول والدم معا (أرفق بطلبك اذن بوستة قيمة ١٠ قروش صاغ يصلك طلبك وطريقة استعماله حالا

ابراهيم ابراهيم شافعي

بوكالة أبو زيد بالحزاوي بمصر تليفون ٤٥٤٧٩